

الوسطية في ضوء القرآن الكريم دراسة موضوعية

د. أحمد بن سعد بن غرم الغامدي

المقدمة

من أبرزها الآتي :

١. ما يراه المنصف من خلط متعمد أو غير متعمد في تحديد مفهوم الوسطية ، وتطبيقاتها .
 ٢. المساهمة الفاعلة في التصدي لظاهرة الغلو والتطرف الملموسة الآن في بعض الأوساط الإسلامية .
 ٣. المساهمة الفاعلة في التصدي لظاهرة التحلل والإباحية المقيتة التي يدعوا لها أتباع الغرب باسم السماحة والوسطية .
 - ومن هنا جاء من تقسيم البحث إلى مقدمة وباين وخاتمة :
 - المقدمة : وفيها أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره .
 - الباب الأول : في التعريف بالوسطية ، و مكانتها ، وإمكانيتها ، ويشتمل على أربعة فصول هي :
 - الفصل الأول : التعريف بالوسطية .
 - الفصل الثاني : مكانة الوسطية .
 - الفصل الثالث : إمكانية الوسطية .
 - الفصل الرابع : أحكام الوسطية .
 - الباب الثاني : أسبابها ، و ميادينها ، و
- الحمد لله رب العالمين ، و الصلاة و السلام على أشرف الأنبياء و المرسلين ؛ محمد بن عبد الله على آله و صحبه أجمعين ، أما بعد :
- فهذا بحث بعنوان : (الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، دراسة موضوعية) ، رغبت في كتابته لما أرى له من أهمية فائقة يتمثل أبرزها في الآتي :
١. إن الوسطية هي المنهج الحق ، الذي ارتضاه الله جل و علا لعباده ، في الدين و الدين ، و هي السمة البارزة لهذا الدين القويم في جميع الصعد .
 ٢. إن الوسطية هي مطلب أساس على مستوى الفرد والأمة لتوافقها مع الفطرة البشرية .
 ٣. إن الوسطية هي النهج الذي تتحصل به العدالة ، و الخيرية ، لهذه الأمة الإسلامية .
 ٤. إن الوسطية هي العنصر الأساس الذي يحقق السعادة القصوى ، في الدنيا و الآخرة .
- هذا ؛ والكتابة في هذا الموضوع لها أسباب

ثمراتها ، ويشتمل على ثلاثة فصول ، هي :

الفصل الأول : أسباب الوسطية .

الفصل الثاني : ميادين الوسطية .

الفصل الثالث : ثمرات الوسطية .

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات ،

و قد تحررت صحة الدليل و الاستدلال ،

و سهولة العبارة مع الاختصار الذي يفي بالمقصود . وفق قواعد البحث العلمي .

هذا و الله أسأل أن يرشد فيه إلى أوضح طريق ، و أن يتقبله و يجعل له القبول . إنه سميع مجيب .

الباب الأول : التعريف بالوسطية . و مكانتها .

وإمكانيتها ، ويشتمل على أربعة فصول هي :

الفصل الأول : التعريف بالوسطية :

(أ) الوسطية في اللغة :

مأخوذة من مادة (وسط) . يقول ابن فارس - رحمه الله - : « الواو و السين و الطاء بناء صحيح يدل على العدل و النصف ، و أعدل الشيء : أوسطه و وسطه ^(١) .

و قال الداغاني - رحمه الله - : « العدل . الوسط بعينه » ^(٢) .

و قال الفيروزآبادي - رحمه الله - : « الوسط من كل شيء أعدل » .

قال الله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا) أي عدولاً خياراً ^(٣) .

و قال الراغب - رحمه الله - : وسط الشيء

ماله طرفان متساويا القدر ، و يقال ذلك في الكمية المتصلة كالجسم الواحد إذا قلت وَسَطُهُ صُلْبٌ و ضربت وَسَطَ رأسه بفتح السين ، و يقال بسكون السين في الكمية المنفصلة ، كشيء يفصل بين جسمين نحو وسط القوم ، و الوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان ، يقال هذا أوسطهم حسباً إذا كان في واسطة قومه و أرفعهم محلاً . و كالجود الذي هو بين البخل و السرف ... و تارة يقال فيما له طرف محمود ، و آخر مذموم كالخير ، و الشر ، أو الجودة ، و الرداءة ، تقول من هذا المعنى : شيء وسط : أي بين الجيد و الرديء ، و يقال : فلان وسط في قومه ، إذا كان أوسطهم نسباً و أرفعهم مجداً . و في صفة نبينا - صلي الله عليه وسلم - ، أنه كان من أوسط قومه : أي خيارهم . فوسط الوادي : خير مكان فيه ، و كذلك كان نبينا - صلي الله عليه وسلم - من خير مكان في نسب العرب ، و أمته أيضاً كذلك جعلت وسطاً أي خياراً ^(٤) .

(ب) الوسطية في الاصطلاح :

الوسطية : نسبة إلى الوسط : و هي العدالة و الخيرية يقول الكفوى - رحمه الله - : « الوسط : اسم استعير للخصال المحمودة لوقوعها بين طرفي إفراط و تفريط » ^(٥) .

و قال ابن القيم - رحمه الله - : « الوسط

الموضوع بين طرفي الإفراط و التفريط و هو العدل » ^(٦) .

و عند ابن كثير - رحمه الله - : « الوسط الخيار و الأجود » ^(٧) .

قال الله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (البقرة / ١٤٣) .

(ج) شرح التعريف :

بشرح مفردات التعريف نقف على معنى الوسطية واضحاً . عبر الآتي :

أولاً : الوساطة بمعنى الحسن و الفضل ^(٨) و الخيار .

١- الحسن : عبارة عن كل مبهج مرغوب فيه و ذلك ثلاثة أضرب : مستحسن من جهة العقل ، و مستحسن من جهة الهوى ، و مستحسن من جهة الحس ^(٩) .

٢- و الفضل : الزيادة عن الاقتصار ، و ذلك ضربان : محمود كفضل العلم و الحلم ، و مذموم كفضل الغضب على ما يجب أن يكون عليه ^(١٠) .

٣- الخيار : مأخوذ من الخَيْر ، و الخَيْر الفاضل المختص بكل ما يرغب فيه الكل ، كالعقل مثلاً و العدل و الفضل و الشيء النافع و ضده الشر ... و الخير و الشر يقالان على وجهين ، أحدهما : أن يكونا اسمين كقوله تعالى : (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ

يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ) (آل عمران / ١٠٤) . و الثاني : أن يكونا وصفين و تقديرهما تقدير أفعل منه نحو هذا خير من ذاك و أفضل كقوله تعالى : (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ) ^(١١) (آل عمران / ١١٠) .

ثانياً : الوسط بمعنى الاعتدال و القصد ^(١٢) .

١- الاعتدال : يقول ابن منظور - رحمه الله - : « الاعتدال : توسُّطُ حالٍ بين حالين في كم أو كيف ... و كل ما تناسب فقد اعتدل ، و كل ما أقمته فقد عدلته » ^(١٣) .

و من هنا كان الاعتدال طلب العدالة و العدل في الشريعة : (عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب مما هو محذور ديناً ^(١٤)) . و العدل من الناس هو (من عرف بأداء فرائضه و لزوم ما أمر به ، و توقي ما نهى عنه ، و تجنب الفواحش المسقطه ، و تحرى الحق الواجب في أفعاله و معاملته ، و التوقي في لفظه مما يثلم الدين و المروءة ^(١٥))

٢- القصد : و هو استقامة الطريق و منه الاقتصاد ، و الاقتصاد على ضربين :

أحدهما محمود على الإطلاق و ذلك فيما له إفراط و تفريط كالجود فإنه بين الإسراف و البخل ... و منه قوله تعالى : (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) (لقمان / ١٩) . و الثاني يكنى به عما يتردد بين المحمود و المذموم و هو فيما يقع بين محمود و مذموم كالواقع بين

العدل و الجور و على ذلك قوله تعالى :
(فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) ^(١٦) .
(فاطر / ٣٢) .

ثالثاً : الوسط بمعناه المادي الحسي ^(١٧) :
و يكون اسماً للمكان الذي يستوي إليه
المساحة من الجوانب في المدور ، و من
الطرفين في الطول كمرکز الدائرة ^(١٨) .

د- الخلاصة :

أن الوسطية : هي الحالة الدائرة بين العدل
و ما في معناه ، و الأحسن و الإحسان و ما
في معناهما على مقتضى الدليل الشرعي
الصحيح الصريح ، سواء أكان في حقوق
الله تعالى ، أم كان حقوق النفس أم في
حقوق الخلق جميعاً ، من إنسان و غيره

، فالعدل وسط و الترقى بالزيادة إحسان
، قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ- وَيَنْهَىٰ-
عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ) (النحل / ٩٠) .

الفصل الثاني : مكانة الوسطية

جاء حديث القرآن عن الوسطية على
ضربين :

الضرب الأول : ما جاء باللفظ لمادة وسط و ما
يتصرف منها

و قد جاءت في القرآن الكريم منها في
مواضع :

الأول : بمعنى الوسط بين طرفين .
في قوله تعالى : (فَأَثَرُنَ بِهِ نَقْعًا × فَوَسَطْنَ
بِهِ جَمْعًا) (العدايات - ٥)

الثاني : بمعنى القرب إلى الاعتدال .
في قوله تعالى : (فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ
مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ)
(المائدة / ٨٩)

الثالث : بمعنى أعدلهم .
في قوله تعالى : (قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَّكُمْ
لَوْلَا تُسَبِّحُونَ) (القلم / ٢٨) .

الرابع : بمعنى معتدلة فاضلة .
في قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا
لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) (البقرة /
١٤٣) .

الخامس : بمعنى الفاضلة والمتوسطة .
في قوله تعالى : (حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ
وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى) (البقرة / ٢٣٨) ^(١٩) .
و هي على الراجح صلاة العصر .
الضرب الثاني : ما جاء بمعنى الوسطية :

و هذا الضرب هو الغالب في آيات القرآن
الكريم ، فإنها إما بيان للوسطية ، أو دعوة
إليها ، أو نهى عن ضدها ، أو بيان لحال
أهلها المستجيبين لها ، أو بيان لحال من
أعرض عنها في الدنيا و الآخرة ، و من تلك
المعاني على سبيل التمثيل لا الحصر :

١- الحسن ، و الأحسن ، و الإحسان و ما

كان منصفاً علم أن هذا الدين وسط بين الأديان و الملل و النحل ، فهو وسط في التصور و الاعتقاد ، وسط في التفكير و الشعور ، وسط في التنظيم و التنسيق ، وسط في الارتباطات و العلاقات ، وسط في التغيير ، لا إفراط و لا تفريط .

قال الشاطبي - رحمه الله - : الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل الأخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه ، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه و لا انحلال ، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال ... فإن كان التشريع لأجل انحراف المكلف أو وجود مظنة انحرافه عن الوسط إلى أحد الطرفين ، كان التشريع راداً إلى الوسط الأعدل ، لكن على وجه يميل فيه إلى الجانب الآخر ليحصل الاعتدال فيه ، و فعل الطبيب الرفيق يحمل المريض على ما فيه صلاحه بحسب حاله و عادته ، و قوة مرضه و ضعفه ، حتى إذا استقلت صحته هيا له طريقاً في التدبير وسطاً لائقاً به في جميع أحواله ، فهكذا تجد الشريعة أبداً في مواردها و مصادرها جارية على هذا الترتيب الوسط المعتدل ، فإذا نظرت إلى كلية من كليات الشريعة فتأملتها وجدت حاملة على التوسط ، فإن رأيت ميلاً إلى

يتصرف من هذه اللفظية و ما في معناها .
٢- الفضل ، و ما يتصرف منه ، و ما في معناه .

٣- الخير ، و ما يتصرف منه ، و ما في معناه ، و هذه المعاني الثلاثة و نظائرها هي أعلى مراتب الوسطية .

٤- العدل ، و ما يتصرف منه ، و ما في معناه .

٥- القصد ، و الاقتصاد و ما في معناه ، و هذان المعنيان الرابع و الخامس ونظائهما أدنى مراتب الوسطية ، و من أشهر الآيات في معنى الوسطية : الأولى : في الأديان و الملل و النحل ، حيث قال تعالى : (أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ × صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ) (الفاحة / ٦ ، ٧) .

أي : اهدنا الدين الوسط لا اليهودية و لا النصرانية ، و هو الدين الإسلامي

و الثانية : في الإنفاق ، حيث قال تعالى (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) (الإسراء / ٢٩) . و قوله تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) (الفرقان / ٦٧) . أي : وسط بين الإسراف و البخل .

و كل من طالع نصوص القرآن الكريم ، و

بعمومها أرفع منزلة سواء بالأمر بها كما هو في الآيات السابقة ، فإن بعضها من باب الخبر إلا أنها تخرج إلى الإنشاء الطلبي ، أي كونوا وسطاً عدولاً خياراً في كل شأن ، ومن ذلك الشأن التوسط في الإنفاق وهذا ينسحب على بقية الأعمال .

أم بالنهي عن الغلو في الدين و الذي يعني : (التصلب و التشدد فيه حتى مجاوزة الحد الشرعي)^(٢٢) . كما قال الله تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ) (النساء / ١٧١) . و قال تعالى : (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ) (المائدة / ٧٧) . و كما جاء عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال صلى الله عليه و سلم : « هلك المتنطعون (قالها ثلاثاً) »^(٢٣) . و المتنطعون : هم المغالون قولاً و فعلاً^(٢٤) .

الفصل الثالث : إمكانية الوسطية

إذا كانت الوسطية سمة الإسلام و مطلبه الشرعي الأوحـد و هي بلا ريب كذلك ، فهل توسط الإنسان ممكن ؟

الحقيقة التي لا جدال فيها عند من عرف الطبيعة البشرية أن ذلك ممكن قطعاً و جزماً ، فالإنسان مخلوق قابل للخير و الشر ، و

جهة طرف من الأطراف فذلك لعلاج انحراف واقع أو متوقع في أحد الجانبين ، فطرف التشديد - و عامة ما يكون في التخويف و الترهيب و الزجر - يؤتى به في مقابل من غلب عليه الانحلال في الدين ، و طرف التخفيف - و عامة ما يكون في الترجية و الترغيب و الترخيص - يؤتى به في مقابلة من غلب عليه الحرج في التشديد ، فإذا لم يكن انحراف إلى هذا أو ذاك رأيت التوسط لائحاً ، و مسلك الاعتدال واضحاً ، و هو الأصل الذي يرجع إليه و المعقل الذي يلجأ إليه^(٢٥) .

و قال الإمام الطحاوي - رحمه الله - : « دين الله في الأرض و السماء واحد . و هو دين الإسلام و هو بين الغلو و التقصير »^(٢٦) . يؤكد ذلك قوله تعالى : (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) (البقرة / ١٤٣) .

و يقول تعالى : (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) (الإسراء / ٢٩) . و قال تعالى : (وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا) (الفرقان / ٦٧) . فإذا تقرر أن الإسلام دين الوسطية ، و هذا حق لا مرية فيه ، فإنه قد رفع منزلة الوسطية

و وادي المجاوزة و التعدي . و القليل منهم جداً الثابت على الصراط الذي كان عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((و هو الوسط)) (٢٦) .

الفصل الرابع : أحكام الوسطية :

الاستمساك بالوسطية له حكمان :

الحكم الأول : حكم باعتبار الواجب و المستحب :

أولاً : الوسطية الواجبة : وتشمل :

أ- الوسطية الواجبة في حقوق الله تعالى :

و هي التي لا تقبل النقص عن قدر معين من كل مكلف ، مثل الاقتصار على أركان الإسلام و الإيمان من دون النوافل كما في قصة ضمام بن ثعلبة - رضي الله عنه - فعن أبي هريرة - رضي الله عنه - : أن أعرابياً أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : « دلني على عمل ، إذا عملته دخلت الجنة . قال : « تعبد الله لا تشرك به شيئاً ، و تقيم الصلاة المكتوبة ، و تؤدي الزكاة المفروضة ، و تصوم رمضان ، قال : و الذي نفسي بيده ، لا أزيد على هذا ، فلما ولي ، قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة ، فليُنظر إلى هذا » (٢٧) .

ب- الوسطية الواجبة في حقوق العباد :

و هي أن تأخذ الذي لك و تعطي الذي عليك ، أو المساواة في المكافأة إن خيراً فخير ، و

هو لما غلب عليه منهما باعتبار المؤثرات الداخلية و الخارجية ، كما قال تعالى : (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا) (الإنسان / ٣)

قال ابن القيم - رحمه الله - : « سبحانه الله ! في النفس كبر إبليس ، و حسد قابيل ، و عتو عاد ، و طغيان ثمود ، و جرأة نمرود ، و استطالة فرعون ، و بغي قارون ، و قبح هامان ، و هوى بلعام ، و حيل أصحاب السبت ، و تمرّد الوليد ، و جهل أبي جهل ، و فيها من أخلاق البهائم ، حرص الغراب ، و شره الكلب ، و رعونة الطاووس ، و دناءة الجعل ، و عقوق الضب ، و حقد الجمل ، و وثوب الفهد ، و صولة الأسد ، و فسق الفارة ، و خبث الحية ، و عبث القرد ، و جمع النملة ، و مكر الثعلب ، و خفة الفراش ، و نوم الضبع ، غير أن الرياضة و المجاهدة تذهب ذلك » (٢٨) . كما قال تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا × وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (الشمس / ٩ - ١٠)

و قال - رحمه الله تعالى - : « من كيد الشيطان العجيب : أنه يُشَامُّ النفس ، حتى يعلم أي القوتين تغلب عليها : أقوة الإقدام و الشجاعة أم قوة الانكفاف و الإحجام و المهانة . و قد اقتطع أكثر الناس إلا أقل القليل في هذين الواديين : وادي التقصير

إن شراً فشر^(٢٨) . وهذا هو العدل و هذان النوعان أدنى مراتب الوسطية .

و ثانياً : الوسطية المستحبة : وتشمل :
أ- الوسطية المستحبة في حقوق الله تعالى :

وهي الزيادة فوق الواجب مما يقبل الزيادة بمقتضى الدليل الشرعي . كالإتيان بالنوافل من صلاة و صيام و عبادة لله تعالى على حال من الإخلاص و الإتقان و المتابعة و كأن العابد يرى ربه بعيني قلبه لا بعيني رأسه .

و هذا هو الإحسان . المعبر عنه في حديث جبريل الطويل بقوله - صلى الله عليه و سلم - : « الإحسان : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »^(٢٩) .

ب- الوسطية المستحبة في حقوق الخلق :
وهي أن يقابل الخير من الخلق بأكثر منه و الشر بأقل منه^(٣٠) . أو بالعفو مطلقاً

و بقوله تعالى : (وَالْكَافِرِينَ أَكْبَدُ)^(٣١) وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)
آل عمران / ١٣٤) و هذا الإحسان هو أعلى مراتب الوسطية .

الحكم الثاني : حكم باعتبار الرخصة و العزيمة :
و كما أن الوسطية دائرة في حكمها بين الواجب و المستحب فهي دائرة بين العزيمة و الرخصة :

أولاً : الرخصة : أطلقت الرخصة في مقابل العزيمة

و معناها اللغوي : (التيسير و التسهيل^(٣٢) . و في الاصطلاح : لها عدة تعاريف الأقرب لموضوعنا هو : (ما كان من المشروعات توسعة على العباد مطلقاً مما هو راجع إلى نيل حظوظهم و قضاء أوطارهم ... فالعزائم حق الله على العباد ، و الرخص حظ العباد من لطف الله)^(٣٣) .

و حكمها الإباحة ، و الرخصة قد تكون بالإسقاط ، أو التنقيص ، أو الإبدال أو التأخير ، أو التقديم ، أو الترخيص ، أو التغيير^(٣٤) .

ثانياً : العزيمة :

و معناها اللغوي : القصد المؤكد . قال تعالى : (فَتَنِّي وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً) (طه / ١١٥)^(٣٥)

و في اصطلاح الشرع : « عبارة عما لزم العباد بإيجاب الله تعالى »^(٣٦) . و لا تكون إلا حيث يكون هناك رخصة ، و نقصد من بحثنا الرخصة و العزيمة أن كلا الأمرين مما اقتضاه الدليل الشرعي وسطية لا تثريب في امتثال أحدهما دون الآخر ، و مما يحسن الاستبدال به هنا حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : « كنا نسافر مع النبي - صلى الله عليه و سلم -

قبيح إذا كان الانتصار للذات ، أما إذا كان الغضب لله تعالى عندما تنتهك حرماته فإنه حسن وسط .

و هذه الأعمال الوسط الحسنة تختلف أحكامها ، من حيث الوجوب و الندب من وقت إلى وقت آخر ، و من شخص إلى شخص آخر ، فالإحسان إلى الوالدين واجب ، و الإحسان إلى الضيف فوق ثلاثة أيام مندوب ، و من هنا كان لابد من العلم الشرعي حتى نصل إلى الوسطية الحقة التي ننشدها ، قال تعالى : (فَأَعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ) (مجمد / ١٩) أمر الله تعالى بالعلم قبل القول و العمل .

و في حديث أنس - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه و سلم - : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » (٣٧) .

و هنا يجب أخذ العلم من العلماء الراسخين فيه ، المشهود لهم بالعدالة و استقامة الطريقة ، و سؤلهم عما أشكل من المتشابهات ، كما قال جل و علا : (فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (النحل / ٤٣) .

و الحذر كل الحذر من إتباع المتشابه بالخوض فيه بالرأي حتى لا يكون الزيغ و الهلكة التي ذكر الله بقوله : (فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا

، فلم يعب الصائم على المفطر ، و لا المفطر على الصائم » (٣٦) . و معنى ذلك أن الصيام في السفر عزيمة ، و الفطر رخصة ، و كلا الحالين فعل أصحاب محمد - صلى الله عليه و سلم - و هم أهل الوسطية الحقة .
الباب الثاني : أسبابها ، و مبادئها ، و ثمراتها ، ويشتمل على ثلاثة فصول ، هي :

الفصل الأول : أسباب الوسطية :

إذا تقرر أن الالتزام بالوسطية منهج حياة كامل ممكن لكل مكلف ، و هو كذلك فإن هذه الوسطية لها أسباب صحيحة ممكنة كذلك موصلة إليها من أقصر الطرق و هي :

السبب الأول : العلم الشرعي :

العلم الشرعي هو أول سبب في يهدي إلى الوسطية لأنه الوسيلة التي يعرف بها وسطية العمل و حسنه عن قبحه ، و حكم الشارع فيه ، إذ أنه من المحال قطعاً أن يستقل العقل بكل ما حسنه الشارع و وسمه بالوسطية و إن عرف بعضه ، لأن الأعمال منها ما هو وسط في كل وقت و من كل أحد ، مثل : حسن الظن بالله تعالى ، و منها ما هو وسط حسن في وقت دون وقت ، مثل الحلم فإنه وسط حسن إلا ساعة لقاء العدو ، فإنه جبن مستقبح من كل أحد .

و من الأعمال ما هو قبيح في وقت ، حسن وسط في وقت آخر ، مثل : الغضب ، فإنه

إتباع كل ما أوجب عليك الدليل إتباع قوله ،
فالرسول - صلى الله عليه وسلم - « هو
المثل الأعلى في إتباع ما أمر به » ^(٣٩) . وقال
الإمام أحمد - رحمه الله - : « هو أن يتبع
الرجل ما جاء عن النبي - صلى الله عليه
وسلم - وعن الصحابة ، ثم هو من بعد في
التابعين مخير » ^(٤٠) .

وقد جاء الإتباع في القرآن الكريم على ضربين :
الأول : مأمور به و جاء على صور عديدة منها :
أولاً : إتباع المولى عز و جل :

قال الله تعالى : (قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ
مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ
أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ لَا
يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدَى فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ)
يونس / ٣٥) .

ثانياً : إتباع الرسل - عليهم الصلاة والسلام - :-
قال الله تعالى : (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ
رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ)
يس / ٢٠) وقال تعالى : (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا
مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا)
(النساء / ١٢٥) وقال تعالى : (قُلْ هَذِهِ
سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ
اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)
(يوسف / ١٠٨)

اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ
كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا) (آل عمران / ٧) .

فاتباع المتشابه هو العلم الضار الذي استعاذ
الرسول - صلى الله عليه وسلم - منه كما
في حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -
قال كان دعاء النبي - صلى الله عليه و
سلم - : « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع ،
و من قلب لا يخشع ، و من نفس لا تشبع ، و
من دعاء لا يسمع » ^(٣٨) .

و أفقت النظر هنا إلى أمرين مهمين :

الأول : أنه ليس المراد بالعلم العلم بدقائق
العلوم الشرعية التي يختص بها العلماء ،
و إنما العلم بالقدر الذي تقوم به عبادات
المسلم في يومه و ليلته لتعذر ذلك على
الجميع .

و الثاني : أن يعرف المسلم أن هناك ميزاناً
يبين وسطية العمل وبين غلوه ليلتزم به إن
علمه ، و السؤال عنه إذا لم يكن يعلمه لتكون
جميع أعماله جارية على المنهج الوسط .

السبب الثاني : الإتباع :

من الأسباب القوية الموصلة للوسطية
الإتباع ، وذلك حتى لا تتفرق السبيل بالمسلم
عن السبيل الحق ، فإنه يلزم عليه الإتباع ،
و ترك الابتداع .

و الإتباع كما قال ابن عبد البر - رحمه
الله - : « الإتباع ما ثبت عليه الحجة ، و هو

الثاني : إتباع منهى عنه :

و هو إتباع الهوى و الشيطان و الظن و الكفار و البدع و ما أشبه ذلك ، قال الله تعالى : (وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الأنعام / ١٥٣) .

عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - أنه قال : أتى النبي - صلى الله عليه وسلم - بكتاب أصابه بعض أهل الكتاب فقرأه النبي - صلى الله عليه وسلم - فغضب فقال : « أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ و الذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به ، أو بباطل فتصدقوا به ، و الذي نفسي بيده لو أن موسى - عليه السلام - كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني » ^(٤٢) . وأصحاب الوسطية الحققة متبعون الإتباع الحسن المتمثل في اتباع الله تعالى واتباع رسله عليهم الصلاة والسلام واتباع الهدى و الرضوان ، و ما أنزل الله من كتاب ، أو ارتضى من شريعة ، واتباع طريق المحسنين من الصديقين و الشهداء و الصالحين مائلون عن الإتباع القبيح و هو إتباع الهوى و الشيطان و الظن و الكفار و البدع و ما أشبه ذلك من زيف و فساد .

ثالثاً : إتباع الهدى و الرضوان . و ما أنزل الله من كتاب . أو ارتضى من شريعة :

قال الله تعالى : (وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (الأنعام / ١٥٣) .

و قال تعالى : (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ × يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (المائدة / ١٥ - ١٦) .

و قال تعالى : (الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ) (الزمر / ١٨) .
رابعاً : إتباع المحسنين :

قال الله تعالى : (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة / ١٠٠) . و

عن حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر و

عمر ^(٤١)) .

السبب الثالث : الاعتصام :

يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (يوسف / ٢٣) .

الثاني : الاعتصام بحبل الله :

و معناه : التمسك بالكتاب و السنة الصحيحة و اتباعهما باطناً و ظاهراً ، قال تعالى : (وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) [آل عمران / ١٠٣] . و عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « .. تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله » ^(٤٥) .

فالاعتصام بحبل الله يوجب له الهداية ، و إتباع الدليل ، و الاعتصام بالله يوجب له القوة و العدة و السلاح و المادة التي يسلم بها ، و على الاعتصام بالله ، و الاعتصام بحبله ، مدار السعادة الدنيوية و الآخروية ، و لا نجاة إلا لمن تمسك بهما ^(٤٦) . فإنهما يهديان إلى صراط الله المستقيم الذي هو صراط المنعم عليهم من النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين الذين هم أهل الوسطية و الاعتدال حقاً قال الله تعالى : (وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هَدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (آل عمران / ١٠١) . و قال تعالى : (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَأَعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطاً مُسْتَقِيماً) (النساء / ١٧٥) . و قال تعالى : (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ

من الأسباب الكريمة الموصلة للوسطية الاعتصام ، وكل من اعتصم اعتصاماً جازماً بالله تعالى و بحبله المتين و بسنة رسوله الأمين - صلى الله عليه وسلم - عصمه الله تعالى من الإفراط و التفريط و كان وسطاً في جميع الأمور . و الاعتصام هو اجتماع المسلمين أو أحدهم على الاستعانة بالله ، و الوثوق به ، و عدم التفرق عنه ، و الاجتماع على التمسك بعهدده على عباده ، و هو الإيمان و الطاعة ، أو الكتاب و السنة ^(٤٣) . وهو نوعان :

الأول : اعتصام بالله ، قال تعالى : (وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (الحج / ٧٨)

و معناه : التوكل على الله ، و الامتناع به ، و الاحتماء به ، و ذلك بسؤاله أن يحمي عبده و يمنعه و يعصمه و يدفع عنه الوقوع في الهلكة ^(٤٤) .

و من هذا النوع ما حصل لنبي الله المحسن يوسف - عليه الصلاة و السلام - حينما استعصم بالله تعالى من الوقوع في كيد امرأة العزيز و مراودتها إياه على الفاحشة ، قال تعالى : (وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا

ديناً^(٥١) . و بمجموع التعاريف السابقة يُعرّف العدل بعمومه .

و هذا النحو هو المعنى بقوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) (النحل / ٩٠) ، فإن العدل هو المساواة في المكافأة ، إن خيراً فخير و إن شراً فشر ، و الإحسان أن يقابل الخير بأكثر منه ، و الشر بأقل منه^(٥٢) و ينأتى العدل في كل مجال من عقائد و شرائع و سير مع الناس في الأمانات و ترك الظلم و الإنصاف و إعطاء الحق^(٥٣) .

كما قال الله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) (النحل / ٩٠) فهذه الآية عامة في كل ما يفتقر صلاحه إلى العدل ، لأن الألف و اللام فيه للعموم ، كما يشعر بذلك حذف المعمول^(٥٤) .

فشملت العدل بين العبد و بين ربه ، و ذلك بإيثار حقه تعالى على حظ نفسه ، و تقديم رضاه على هواه ، و الاجتناب للزواج ، و الامتنال للأوامر ، و ذلك لمقتضى خلق الله تعالى له حيث جعل الغاية من خلقه عباده كما قال سبحانه : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات / ٥٦) والعدالة تقتضي القيام بعبادة الله على النحو الذي نذكر ، و من لم يفعل كان مفرطاً ، و ذلك هو

فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء / ٦٩) .

فعلى العبد المسلم أن يعتصم بالله تعالى و بكتابة العزيز و بما صح من السنة المطهرة حتى تصل به إلى المنهج الوسط الذي يدفع عنه و يحميه من الشهوات و الشبهات ، و الافراط و التفريط قال ابن بطال - رحمه الله - : « لا عصمة لأحد إلا في كتاب الله ، أو في سنة رسوله ، أو في إجماع العلماء على معنى في أحدهما »^(٥٥) .

السبب الرابع : العدل :

سبق الحديث أن العدل صفة الوسطية بل هو الوسطية بعينها ، وهو هنا وسيلة و سبب موصل إليها لمن تخلق به . والعدل هو فصل الحكومة على ما في كتاب الله - سبحانه و تعالى - و سنة رسوله - صلى الله عليه و سلم - لا الحكم بالرأي المجرد^(٥٦) .

و قيل : بذل الحقوق الواجبة و تسوية المستحقين في حقوقهم^(٥٧) .

و قال ابن حزم : هو أن تعطي من نفسك الواجب و تأخذه من غيرك^(٥٨) .

و قال الجرجاني : العدل الأمر المتوسط بين الإفراط و التفريط .

و العدالة في الشريعة : عبارة عن الاستقامة على طريق الحق بالاجتناب مما هو محظور

الظلم بعينه .

و شملت العدل بينه و بين نفسه ، و ذلك بمنعها عما فيه هلاكها كما قال الله تعالى : (وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى) (النازعات / ٤٠) و عزوب الأطماع عن الإتياع ، و لزوم القناعة في كل حال و معنى ، لأنه إذا لم يفعل ذلك جرت نفسه إلى إتياع الهوى ، و ارتكاب حدود الله تعالى ، كما قال الله تعالى : (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) (يوسف / ٥٣) ، و إذا فعل ما أمرته كان مجانباً للعدل معها ، كما قال الله تعالى : (وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) (الطلاق / ١) .

و شملت العدل بينه و بين الخلق ، و ذلك ببذل النصيحة لهم ، و ترك خيانتهم فيما قل أو كثر ، و الإنصاف من النفس لهم بكل وجه ، و لا يوصل إلى أحد مساءة بقول و لا يفعل ، لا في سر و لا علن ، و الصبر على ما يصيبه منهم من البلوى و إذا لم يفعل ذلك فلا أقل من الإنصاف من النفس و ترك الأذى ^(٥٥) . و من الآيات العامة في العدل قوله تعالى : (قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ) (الأعراف / ٢٩) . و قوله تعالى : (لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) [الحديد / ٢٥] .

السبب الخامس : الإحسان :

وهو سبب قوي موصل إلى أرفع درجات

الوسطية و أجمل صفاتها .

ويختلف معنى الإحسان باختلاف القرائن و السياق الذي يرد فيه ، و له معنيان : المعنى الأول : أن يقترن الإحسان بشيء من حقوق الله تعالى و ما يجب له من العبادة ، فيكون المراد به ما عرفه به النبي - صلى الله عليه وسلم - عندما سأله جبريل - عليه السلام - عن الإحسان فقال : « أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كأنك تراه » ^(٥٦) . و المعنى : عبادة المؤمن ربه في الدنيا على وجه الحضور و الخشوع ، و المراقبة و الإتيان ، حتى يغلب عليه مشاهدة الله تعالى بقلبه كأنه يراه بعينه ^(٥٧) .

المعنى الثاني من معاني الإحسان : أن لا يقترن بشيء من حقوق الله تعالى أو ما يجب له من الطاعة مطلقاً ، فيكون المراد به : فعل ما ينبغي فعله من المعروف ، و هو ضربان :

أحدهما : الإنعام على الغير ، بحيث يصير الغير حسناً به ، كإطعام الجائع ، و تكون الهمزة هنا للتعدي .

و الثاني : ما يصير الفاعل بسببه حسناً بنفسه كمن علم علماً محموداً و عمل عملاً حسناً ، و تكون الهمزة هنا للصورورة ، و منه قول علي - رضي الله عنه - : (الناس أبناء ما يحسنون) . أي منسوبون إلى ما يعلمون و يعملون من الأفعال الحسنة . وكلا

النفس ، و تتضمن كمال الطاعة و إتقانها و إخلاصها لله تعالى على أكمل وجه و كأن الطائع يرى ربه تعالى ، كما تتضمن القيام على شؤون نفسه بما يصلحها في الظاهر و الباطن . قال الله تعالى : (إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنُكُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) (الإسراء / ٧) .

أما الدائرة الثانية : فتشمل الإحسان إلى القرابة الأدينين و هم الوالدان ، و الزوجة ، و الأولاد . قال الله تعالى : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) (الإسراء / ٢٣) .

أما الدائرة الثالثة : فإنها تشمل الإحسان إلى القرابة الأبعد من الوالدين ، و الزوجة ، و الأولاد ، و هم الإخوان و الأخوات و الأعمام و العمات و الأخوال و الخالات و أبناءهم و بقية الأنساب و الأصهار . قال الله تعالى : (وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ) (البقرة /) .

أما الدائرة الرابعة : فهي أوسع من سابقتها فإنها تضم الإحسان إلى المسلم و تشمل الجيران ، و الإخوان في الله و بقية أفراد المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان و الإحسان هذا أكثر ما ينصب على الجانب الفقير في المجتمع ، كاليتامى و المساكين و ابن السبيل

الضربين متعلق المدح في العاجل و الثواب في الآجل ، إذا صحبتها النية الصالحة^(٥٨) . وقد سبق أن العدل من الأسباب الموصلة للوسطية والفرق بين العدل والإحسان أن الإحسان درجة أعلى و دائرة أشمل من العدل ، لأن العدل يعني أن يأخذ الإنسان ماله و يعطي ما عليه ، و الإحسان يعني أن يأخذ الإنسان أقل مما له و أن يعطي أكثر مما عليه ، فالإحسان بذلك زائد على العدل ، و العدل يكون في الأحكام و الإحسان يكون في المكارم ، و إذا كان تحري العدل من الواجبات فإن تحري الإحسان نذب و تطوع ، و كلاهما مأمور به في قوله تعالى : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ) [النحل / ٩٠] . و بالعدل و الإحسان يستحق العبد الخلافة في الأرض و عمارتها ، و غاية الإحسان أن يقع من الإنسان أفضل الإحسان من غير فكر و لاروية كأنه مطبوع عليه^(٥٩) .

ثم إنه من الواضح للباحث المدقق في النصوص الكريمة الواردة في الإحسان أنه مع العدل يشكل مضامين العلاقة مع الإنسان نفسه و الإنسان الآخر و أحكامها ، و أن دائرة هذا الإحسان تتسع لتشمل النفس و الأسرة و الأقارب ثم المجتمع و الإنسانية عامة ، و الحياة بأسرها .

فالدائرة الأولى : و هي دائرة الإحسان إلى

وَأَدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ قَرِيبٌ
مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ([الأعراف / ٥٦]) .

وبهذه الأسباب الخمسة المتمثلة في
تحصيل العلم الشرعي ، والإتباع المحمود
والاعتصام بالله تعالى وبحبله العظيم ،
والقيام بالعدل بأنواعه ، والإحسان بشموله
تسنى المسلم لب الوسطية وكمالها .

الفصل الثاني : ميادين الوسطية

إن ميادين الوسطية واسعة اتساع شرائع
الإسلام ، وإنه من العسير جداً حصرها
في هذه الأسطر المعدودة ، و ما سأذكر هو
عبارة عن مثال أو نماذج يقاس عليها غيرها
و من ذلك :

(أ) الوسطية في العقائد :

هي الأمور التي تصدق بها النفوس وتطمئن
إليها القلوب ، و تكون يقيناً عند أصحابها ،
لا يمازجها ريب ، و لا يخالطها شك ، مما
جاء عن الله تعالى في كتابه الكريم و صحَّ
عن رسول الله - صلى الله عليه و سلم -
من سننه ^(١) .

وأصول العقيدة الإسلامية ستة تعرف
بأركان الإيمان و هي : الإيمان بالله و
ملائكته ، و كتبه ، و رسله ، و اليوم الآخر ،
و القدر خيره و شره .

قال الله تعالى : (لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا
وُجُوهَكُمْ قَبْلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ

و الممالك . قال الله تعالى : (وَأَعْبُدُوا اللَّهَ
وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا
وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ
ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ
بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)
(النساء / ٣٦) و في الآية أمر بالإحسان
إلى من ذكر ، و نهى عن الترفع عنهم كبراً
و اختيالاً .

أما الدائرة الخامسة : و هي الأوسع في
العلاقات الإنسانية فتشمل الإحسان إلى
المخالفين في العقيدة الذين لا يدينون
بدين الإسلام غير المحاربين للمسلمين
قال الله تعالى : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ
دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ
يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) × إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ
قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ
وظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ
يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ^(٢) (المتحنة
/ ٨ - ٩) .

و أما الدائرة السادسة : و هي الإحسان مع
غير الإنسان و تضم الإحسان إلى الملائكة
الكرام - عليهم السلام - و النباتات و
الحيوان و الجمادات وغيرها ، قال تعالى :
(وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا

وهم كذلك وسط في باب صفات الله تعالى:
فإن اليهود وصفوا الله تعالى بصفات
المخلوق الناقصة ، و النصارى وصفوا
المخلوق بصفات الخالق المختصة به ، هذا
في باب يطول حصره .

و أما أهل السنة و الجماعة في الفرق فهم
وسط كذلك ، فهم في باب أسماء الله وصفاته
وسط بين أهل التعطيل الذين يلحدون في
أسماء الله و آياته و يعطلون حقائق ما
نعت الله به نفسه ، حتى يشبهوه بالعدم
و الموات ، و بين أهل (التمثيل و التشبيه)
الذين يضربون له الأمثال و يشبهونه
بالمخلوقات . و أما هم : فيؤمنون بما وصف
الله به نفسه و ما وصفه به رسوله - صلى
الله عليه وسلم - من غير تحريف و لا
تعطيل و لا تكييف و لا تمثيل .

و أما في باب الخلق و الأمر ، فهم وسط
بين المكذبين بقدرة الله الذين لا يؤمنون
بقدرته الكاملة و مشيئته الشاملة و خلقه
لكل شيء ، و بين المفسدين لدين الله الذين
لا يجعلون له مشيئة و لا قدرة و لا عمل
فيعطلون الأمر و النهي و الثواب و العقاب
، فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا : (
لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا
مِنْ شَيْءٍ) (الأنعام / ١٤٨) .

و أما أهل السنة و الجماعة فوسطيتهم في

أَمَنْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ ([البقرة / ١٧٧]) .

و قال عن القدر : (إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ
× وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ × وَلَقَدْ
أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدْرِكٍ) (القمر / ٤٩ ،
٥٠ ، ٥١) .

عن جابر - رضي الله عنه - قال : « سمعت
رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل
موته بثلاثة أيام يقول « لا يموتن أحدكم إلا
و هو يحسن الظن بالله عز وجل » ^(٦٧) . أي
يعتقد اعتقاداً سليماً جازماً لا شك فيه .

و قد أبان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه
الله - هذه الوسطية في العقيدة بما لا مزيد
عليه .

فقال : أهل السنة و الجماعة : « الفرقة
الناجية » وسط في النحل كما أن ملة
الإسلام وسط في الملل ، فالمسلمون وسط
في أنبياء الله و رسله و عباد الصالحين ،
لم يغفلوا فيهم كما غلت النصارى ، و لم
يجفوا عنهم كما جفت اليهود ، و هم وسط
في شرائع دين الله ، فلم يحرّموا على الله
أن ينسخ ما شاء و يمحو ما شاء و يثبت
ما شاء ، كما قالت اليهود ، و لا جوزوا
لأكابر علمائهم و عبادهم أن يغيروا دين الله
فيأمرّوا بما شاءوا ، و ينهوا عما شاءوا كما
يفعله النصارى .

مثقال خردلة من إيمان .
و هم في أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسط بين الغالية الذين يغالون في علي - رضي الله عنه - و أهل البيت ، فيفضلون علياً على أبي بكر و عمر ، و يعتقدون أنه الإمام المعصوم دونهما ، و أن الصحابة ظلموا و فسقوا ، و كفروا الأمة بعدهم كذلك ، و ربما جعلوه نبياً و إلهاً ، و بين الجافية الذين يعتقدون كفره و كفر عثمان ، و يستحلون دماءهما و دماء من تولاها ، و يستحبون سب علي و عثمان و نحوهما ، و يقدحون في خلافة علي - رضي الله عنه - و إمامته .

و وسطيتهم في سائر أبواب السنة راجع لتمسكهم بكتاب الله و سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - و ما اتفق عليه السابقون الأولون من المهاجرين و الأنصار و الذين اتبعوهم بإحسان^(٦٣) .

(ب) الوسطية في العبادات :

والعبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال و الأعمال الباطنة و الظاهرة^(٦٤) ، و بهذا التعريف الشامل تجمع العبادة كل ما ينويه العبد بقلبه ، و يقوله بلسانه ، و تفعله جوارجه مما شرعه الله تعالى تقرباً إليه .

وحقيقتها كما قال القرطبي - رحمه الله -

إيمانهم بأن الله على كل شيء قدير ، فيقدر أن يهدي العباد ، و يقلب قلوبهم ، و أنه ما شاء الله كان و ما لم يشأ لم يكن ، فلا يكون في ملكه ما لا يريد و لا يعجز عن إنفاذ أمره و أنه خالق كل شيء من الأعيان و الصفات و الحركات ، كما يؤمنون في الوقت نفسه أن العبد له قدرة و مشيئة و عمل و أنه مختار ، و لا يسمونه مجبوراً (أي فيما كلف به) إذ إن المجبور من أكره على خلاف اختياره ، و الله سبحانه و تعالى جعل العبد مختاراً لما يفعله فهو مختار مريد ، و الله خالقه و خالق اختياره .

و هم في باب الأسماء و الأحكام و الوعد و الوعيد وسط بين الوعيدية الذين يجعلون أهل الكبائر من المسلمين مخلصين في النار و يخرجونهم من الإيمان بالكلية ، و يكذبون بشفاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - و بين المرجئة الذين يقولون : إيمان الفساق مثل إيمان الأنبياء ، و الأعمال الصالحة ليست من الدين و الإيمان ، و يكذبون بالوعيد و العقاب بالكلية ، فيؤمن أهل السنة و الجماعة بأن فساق المسلمين معهم بعض الإيمان و أصله ، و ليس معهم جميع الإيمان الواجب الذي يستوجبون به الجنة ، و أنهم لا يخلدون في النار ، بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ، أو

و قلبه بين أصبعين من أصابعه و موته و حياته و سعادته و شقاوته و عاقبته و بلاؤه كله إليه سبحانه ليس إلى العبد منه شيء ، بل هو في قبضة سيده أضعف من مملوك ضعيف حقير ، ناصيته بيد سلطان قاهر مالك له ، تحت تصرفه و قهره ، بل الأمر فوق ذلك ، و متى شهد العبد أن ناصيته و نواصي العباد كلها بيد الله وحده يصرفهم كيف يشاء لم يخفهم بعد ذلك ، و لم يرهبهم ، و لم ينزلهم منزلة المالكين بل منزلة عبيد مقهورين مربوبين ، المتصرف فيهم سواهم ، و المدير لهم غيرهم ، فمن شهد نفسه بهذا المشهد صار فقره و ضرورته إلى ربه وصفاً لازماً له ، و متى شهد الناس كذلك لم يفتقر إليهم و لم يتعلق أمره و رجاء بهم فاستقام توحيده و توكله و عبوديته ^(٦٥) .

ويمكن أن يقال : إن العبادة خمسة أقسام بحسب جهتها :

أ- العبادات الاعتقادية :

و هذه أساسها أن نعتقد أن الله هو الرب الواحد الأحد ، الذي ينفرد بالخلق و الأمر ، و بيده النفع و الضرر ، و لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، و لا معبود بحق غيره ، و أن له الأسماء الحسنى و الصفات العلى .

و من ذلك : الاعتقاد و التصديق بما أخبر الله تعالى به عن ذاته و أسمائه و صفاته ، و

أصل العبادة : التذلل و الخضوع ، و سميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات ، لأنهم يلتزمون بها و يفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى ^(٦٥) .

و قال ابن القيم - رحمه الله - : التحقق بمعنى قوله : « إني أعبدك » : التزام عبوديته من الذل و الخضوع و الإنابة ، و امتثال أمر سيده ، و اجتناب نهيه ، و دوام الافتقار إليه ، و اللجوء إليه ، و الاستعانة به ، و التوكل عليه ، و عياد العبد لربه ، و لياذنه به ، و أن لا يتعلق قلبه بغيره محبة و خوفاً و رجاءاً ، و فيه أيضاً : إني عبد من جميع الوجوه : صغيراً و كبيراً ، حياً و ميتاً ، مطيعاً و عاصياً ، معافى و مبتلى ، بالروح و القلب و اللسان و الجوارح ، و فيه أيضاً : أن مالي و نفسي ملك لك ، فإن العبد و ما يملك لسيده ، و فيه أيضاً : أنت الذي مننت علي بكل ما أنا فيه من نعمة فذلك كله من إنعامك على عبدك ، و فيه أيضاً : أني لا أتصرف فيما خولتني من مالي و نفسي ، إلا بأمرك ، كما لا يتصرف العبد إلا بإذن سيده ، و إني لا أملك لنفسي ضرراً و لا نفعاً و لا موتاً و لا حياة و لا نشوراً ، و أن ناصيتي بيدك ، أنت المتصرف في تصرفني كيف تشاء ، لست أنا المتصرف في نفسي و كيف يكون له في نفسه تصرف من نفسه بيد ربه و سيده ، و ناصيته بيده ،

ما شرع سبحانه وتعالى ، و التوسيط فيها
أداؤها بلا غلو و لا تقصير و لا إفراط و لا
تفريط .

- صور من التوسيط في العبادة :

١- عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -
أنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج
النبي - صلى الله عليه وسلم - يسألون
عن عبادة النبي - صلى الله عليه وسلم - ،
فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : و أين
نحن من النبي - صلى الله عليه وسلم - ؟
قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه و ما تأخر .
قال أحدهم : أما أنا فأنا أصلي الليل أبداً ،
و قال آخر : أنا أصوم الدهر و لا أفطر ، و
قال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً .
فجاء رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ،
فقال : « أنتم الذين قلتم كذا و كذا . أما و الله
إني لأخشاكم لله و أتقاكم له لكني أصوم و
أفطر و أصلي و أرقد ، و أتزوج النساء فمن
رغب عن سنتي فليس مني » ^(٦٨) .

٢- عن ابن عباس - رضي الله عنهما -
قال : قال لي رسول الله - صلى الله عليه
وسلم - غداة العقبة و هو على راحلته : «
هات القط لي فلنقط له حصيات هن حصي
الخذف فلما وضعتهن في يده ، قال : « بأمثال
هؤلاء و إياكم و الغلو في الدين ، فإنما أهلك
من كان قبلكم الغلو في الدين » ^(٦٩)

الملائكة ، و الكتب و الرسل ، و اليوم الآخر ،
و القضاء و القدر ، و غيرها .

ب- العبادات القلبية :

و هي الأعمال القلبية التي لا يجوز أن يقصد
بها إلا الله تعالى وحده دون سواه .
مثل المحبة التي لا تصلح إلا لله تعالى
وحده ، فيحب الله تعالى و يحب دينه ، و
يحب عباده الصالحين الذين يحبونه ، و
التوكل ، و الخشية و الخوف ، و الرجاء و
الإنابة و التوبة ، و غيرها .

ج- العبادات اللفظية :

و هي النطق بكلمة التوحيد ، فمن اعتقدها ،
و لم ينطق بها لم يحقن دمه و لا ماله ، و من
نطق بها و لم يعتقدها بقلبه حقن ماله و دمه ،
و حسابه على الله و حكمه حكم المنافقين .

د- العبادات البدنية :

كالصلاة و الطواف بالبيت فلا يجوز
الطواف بغير بيت الله تعالى .

و منها : الصوم و الحج و الجهاد في سبيل
الله تعالى و غيرها .

هـ- العبادات المالية :

كالصدقة و الزكاة و النذر ^(٦٧) ، و غيرها .
و هكذا فالعبادة شاملة لكل نشاطات
الإنسان ، و اعتقاداته و تصوراته عن الكون
و الإنسان و الحياة و ما فيها و ما يجب
عليه نحوها مما يراى به الله تعالى على وفق

ج- الوسيطية في المعاملات :

أ- الوسيطية في المعاملات مع النفس باطناً و ظاهراً :
أولاً : الوسيطية مع النفس باطناً :

عندما تحدثت الشريعة الإسلامية ممثلة في الكتاب العزيز و السنة النبوية عن باطن الإنسان كان الحديث يدور على عدة مسميات ربما يعبر بواحد منها عن الجميع و ربما يعبر بواحد منها عن مجموعة و ربما يعبر عن كل واحد بانفراده و ذلك لما بين تلك المسميات من تقارب و ارتباط و تشابه في الوظائف و الأداء و هذا المسميات هي : النفس أو الروح ، و الصدر و القلب ، و الفؤاد ، و اللب ، و العقل ، و الحجر و النهي ، و حيث إن هذه الوحدات جعل الله لها القدرة على الاستجابة للخير و الشر وفقاً لمؤثرات معينة ، و أن ما يصدر عنها من سلوكيات للإنسان هو نتاج تلك المؤثرات فيها كان لا بد من الإحسان إليها بالمؤثرات الخيرية و دفع المؤثرات الشريرة عنها تلك المتمثلة في وساوس الشيطان الداعية للإثم و العدوان و حتى لا يطول بنا المقام هنا سأكتفي بالحديث عن النفس و تقاس البقية عليها .

والمقرر في الشريعة أن النفس الإنسانية مخلوقة لله تعالى و أن النفوس جميعاً من

أصل نفس واحدة و هو آدم عليه السلام ، قال الله تعالى : (أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً) (النساء / ١) . و قد يراد بها الروح و الجسد أو الروح فقط . هي التي تذوق الموت ، و هذا يعني أن لها عمراً ترد فيه إلى الله لمجازاتها عما قدمت إن خيراً فخير ، و إن شراً فشر . قال الله تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةٌ وَإِنَّا لَتَرْجِعُونَ) [الأنبياء / ٣٥] .

و أركزى النفس المطمئنة ، و هي التي قبلت الهدى و عملت به و دعت إليه قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ × أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً × فَادْخُلِي فِي عِبَادِي × وَأَدْخُلِي جَنَّتِي) [الفجر / ٢٧ - ٣٠] . وتليها النفس اللوامة و هي النفس التي تلوم صاحبها على فعل الشر و التقصير في فعل الخير قال الله تعالى : (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ × وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَامَةِ) (القيامة / ٢) . و شرها النفس الأمارة بالسوء أو المسولة و هي النفس التي لم تقبل الهدى و تدفع بصاحبها إلى الإثم كما قال تعالى : (إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي) (يوسف / ٥٣) و قال تعالى : (بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً) (يوسف / ١٨) .

عليه وسلم - : « أَلَمْ أَخْبِرْ أَنَّكَ تَقُومُ اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ » قلت : « إِنِّي أَفْعَلُ ذَلِكَ قَالَ : فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ هَجَمْتَ عَيْنَكَ وَتَفَهَيْتَ نَفْسَكَ ، وَ إِنْ لِنَفْسِكَ حَقًّا وَلْأَهْلِكَ حَقًّا ، فَصُمْ وَأَقْطِرْ ، وَ قُمْ وَ نَمْ » (٧٠) . و معنى هجمت عينك أي : غارت و دخلت في موضعها (٧١) . و هكذا فإن الشريعة الإسلامية عندما حثت على العناية بالجسد و الاهتمام بالمظهر و أخذ الزينة حذرت من الإفراط و المبالغة في ذلك بحيث يصبح المسلم عبداً لها تعد شغله الشاغل و همه الدائم ، بل يجب التوسط و الاعتدال في ذلك كله بما يحقق التوازن بين مطالب الباطن و الظاهر .

قال الله تعالى : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ × قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (الأحزاب / ٣٢ ، ٣٣) .

و عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « كلوا و تصدقوا و البسوا في غير إسراف و لا مخيلة » (٧٢) . و هذا الأمر ينسحب على ما عداه مما يمكن

و الوسطية في معاملة النفس باطناً تكون بتزكيتها بالطاعات و الإحسان إليها بما تصير به مطمئنة ، كما قال تعالى : (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا × وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا) (الشمس / ٩-١٠) . و كما قال تعالى : (إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) (الإسراء / ٧) .

ثانياً : الوسطية في التعامل مع النفس ظاهراً : من مقاصد الشريعة الإسلامية أن يتميز المسلمون بالعناية بأجسادهم و ظواهرهم مطعماً ، و مشرباً و ملبساً و نظافة ، و صحة و مركباً ، و توسطاً بين الراحة الجسمية و العمل و غيرها من الضروريات التي لا تقوم الحياة إلا بها و الحاجيات التي يفقدها تصعب الحياة و التحسينات التي تجعل الحياة جميلة ، و لئن كان طائفة من المسلمين أفرطوا في ذلك أو فرطوا فإن صاحب الوسطية الحققة هو أولى الناس بتحقيق هذا المقصد الشرعي و التوسط فيه ، تقرباً إلى الله تعالى ، و أداءً لحق الجسد ، و قدوة حسنة للناس فلا يهمل ظاهرة لاشتغاله بباطنه و لا يفصل مظهره عن مخبره ، بل يجمع بين جمال الظاهر و الباطن .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال « قال لي النبي - صلى الله

التوسط فيه ظاهراً .

ب- الوسطية في التعامل مع الغير :

أولاً : الوسطية في التعامل مع المسلمين :

إن المسلم الصادق ذو الوسطية ، شخصية اجتماعية راقية ، كونتها مجموعة كبيرة جداً من مكارم الأخلاق ، التي استهدت بهدي القرآن الكريم و السنة النبوية الصحيحة ، و جعلت التخلق بها ديناً يثاب عليه المرء المتوسط ، و يحاسب على تركه ، فاستطاعت بذلك أن تجعل شخصيته نموذجاً فذاً للإنسان الاجتماعي الراقى المذهب التقى الخير النظيف .

بيد أن الباحث المستقصي نصوص تلك التوجيهات الاجتماعية في الإسلام ، يجد نفسه أمام حشد كبير جداً من النصوص التي تحض على كل خلق من هذه الأخلاق الاجتماعية الرفيعة ، مما يدل على عناية الإسلام البالغة بتكوين شخصية المسلم الاجتماعية تكويناً دقيقاً ، لا يكفي بالعموميات ، بل يقف عند كل جزئية من الجزئيات الخلقية التي تكون جانباً من جوانب الشخصية الاجتماعية المتكاملة ، و هذا الاستيعاب و الشمول لم يتوافر في منهج من مناهج التربية الاجتماعية توافره في هذا الدين .

و لا مناص لمن ينشد منهج الوسطية من

الوقوف عندهذه النصوص جميعاً ، و الإمام بما تضمنته من هدى و توجيه و تشريع ، ليستطيع تجلية الشخصية الاجتماعية الراقية التي تميز بها المسلم الواعي و تفرد^(٧٣) . و هي تدور بين العدل و الإحسان : العدل بأن تحب لأخيك المسلم ما تحبه لنفسك و تكره له الذي تكره لنفسك. فعن أنس - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »^(٧٤).

و الإحسان : بأن يؤثره على نفسه أو يزيده فوق ما يحب له و من أعجب الصور التطبيقية لهذه الأخلاق الأخوية ما صنع الأنصار بالمهاجرين ، و قد مدحهم الله بذلك فقال تعالى : (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَاُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) (الحشر / ٩) .

ثانياً : الوسطية في التعامل مع الكافرين :

يجد الباحث المدقق أن الكفار في علاقتهم بالأمة الإسلامية جماعات و أفراداً ليسوا على درجة واحدة سواء أكانوا أقرباء أم لا فمنهم الحربي و الذمي و المستأمن ، و المصالح ، و المهادن ، و المحاييد ، و المعتزل .

مشروعية البر الإحسان إلى المسلمين من الكافرين :

يستحب الإسلام البر والإحسان و بذل المعروف و النصح لجميع الناس إلا من حارب الله و رسوله - صلى الله عليه وسلم - و تربص بالمسلمين الدوائر ، و هم من يسمون بالحريين .

أما من عداهم فالدين لا يمانع من برهم و العطف عليهم ما داموا مسلمين مواعين كأهل الذمة و أهل الصلح و المستأمنين ونحوهم^(٧٦) .

قال الإمام الطبري - رحمه الله - بعد أن ساق أقوال المفسرين في المراد بالذين لا ينهي الله تعالى عن برهم : « و أولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : عن بذلك : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ) (الممتحنة / ٨) ، جميع من كان ذلك صفته فلم يخص به بعضاً دون بعض ، و لا معنى لقول من قال ذلك منسوخ»^(٧٧) .

و قال الشوكاني - رحمه الله - : « و معنى الآية أن الله سبحانه لا ينهي عن بر أهل العهد من الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك القتال و على ألا يظاهروا الكفار عليهم^(٧٨) .

و جملة هؤلاء الكفار مع اختلاف مواقفهم من الدولة الإسلامية و أفرادها فئات لكل فئة أحكام خاصة في التعامل معها .

و هذا التقسيم للكفار مهم جداً لأمرين : الأول : أن كثيراً من الناس يجهلون حقيقة العلاقة مع غير المسلمين و أسلوب المعاملة معهم و طريقتها فتجدهم يذهبون مذاهب غير شرعية .

منهم من يقف من الكفار موقفاً سلبياً طابعه العدا و النفور فلا يفرق بين حربي و نبي و مستأمن ، فيتعامل مع الجميع معاملة قاسية شديدة انطلاقاً من فهمه لبعض النصوص كقوله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) (التوبة / ٧٣) .

و منهم من يقف من الكفار جميعاً موقفاً طابعه المحبة و الود و الولاء بحيث لا يكاد يفرق بين مسلم و غير مسلم ، و لا يميز بينهما ، و يرى أن على جميع الناس على اختلاف أديانهم أن يعيشوا متوادين متعاونين ، و أن يبتعدوا عن كل أسباب الخلاف و النزاع فيما بينهم ، مع محافظة كل منهم على دينه و عقيدته و اضعافاً لنصوص الرحمة و السماحة في غير مواضعها .

و الحقيقة أن الإسلام في هذا وسط بين الأمرين^(٧٩) .

– لغلामه ، و قد ذبح شاة : أهديت لجارنا اليهودي ؟ سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : « ما زال جبريل يوصيني بالجار ، حتى ظننت أنه سيورثه »^(٨١)

و التأكيد الثاني : أن كلمة البر بالكافرين المسلمين و من في حكمهم جامعة لكل وجوه الإحسان شرعاً و عقلاً ، إلا ما عارض مصلحة إسلامية للفرد أو الجماعة ، مع انتفاء الميل القلبي إليهم بالحبّة و المودة و الموالاة و الإكبار .

ج- الوسطية في التغيير :

المراد بالتغيير هنا الدعوة إلى الله ، و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ، و النصيحة و التواصي و التعليم . و ذكر ذلك كله فيه طول و المراد التمثيل فقط و نأخذ نموذج الدعوة إلى الله تعالى و الوسطية فيها تكون بالآتي:

١- أن تكون الدعوة إلى سبيل الله و هو الإسلام .

٢- أن تكون مادة الدعوة إلى الله تعالى الكتاب و السنة الصحيحة و تفهم بفهم السلف الصالح من الصحابة و التابعين لهم بإحسان و في ضوء لغة العرب ما أمكن ذلك .

٣- أن يراعي في الدعوة الحال و المقال و

و قال المرتضى – رحمه الله – : « المحالفة و المنافعة و بذل المعروف و كظم الغيظ و حسن الخلق و إكرام الضيف ، و نحو ذلك يستحب للجميع إلا ما كان يقتضي كالدلة ، فلا يبذل للعدو في حال الحرب »^(٧٩) .

و إذا كانت الوسطية في القرآن الكريم في التعامل مع الكافرين تعني استحباب الإحسان و البر إلى من لم يكن حربياً فإن الشريعة قد جاءت بمزيد عناية للكافر القريب و الكافر الجار .

ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – قال : « سمعت النبي – صلى الله عليه وسلم – جهاراً غير سرّ يقول : « إن آل أبي فلان ليسوا بأوليائي ، إنما و ليي الله و صالح المؤمنين ، و لكن لهم رحم أبُلّها ببلالها »^(٨٠) . أي أصلها بالمعروف .

و قد جاء التأكيد على أهمية بر الجار الكافر بما هو فرض لازم ، و ذلك بعدم أذيته ، أو الإضرار به جملة ، و يحسن إليه بما يقدر ، و دعوته إلى الإسلام برفق و لين ، و ينهيه إلى ما ينفعه ، و إن كان محسناً إليك ، فاقبل إحسانه ، و كافئه عليه بما تقدر ، أو الدعاء له بالهداية و الصلاح ، و إن كان مؤذياً لزم الصبر عليه ، حتى يجعل الله له فرجاً .

قال عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما

الزمان و المكان ، لكل من الداعي و المدعو ، و بيان ذلك باختصار أنه يجب على الداعية معرفة حالته الاجتماعية سناً و مكانة ، و كذا حالة المدعو الاجتماعية سناً و مكانة ، فإنه ليس دعوة الكبير للكبير كدعوة الصغير للصغير و كذا دعوة الكبير للصغير ، و لا دعوة العالم للأمير كدعوة الأمير للعالم و لا دعوة العالم للعامي كدعوة العامي للعالم و هكذا فليست دعوة الموافق كالمعاند فإن المعاند بحاجة إلى مزيد بيان و جدال بالتالي هي أحسن كما يجب على الداعية مراعاة المقال فما يصلح أن يقال بإيجاز لا يصلح فيه الإطناب ، فعلى الداعية أن يتخير من الألفاظ أجملها و من العبارات أسلسها و من المعاني أوضحها بعيداً عن العموميات و المثاليات القصوى التي لا يمكن تحقيقها في الواقع فخير الكلام ما قل و دل و البلاغة و الإيجاز و يتدرج بالمدعو من حال إلى حال أرفع في يسر و سهولة ، و أيضاً يجب على الداعية مراعاة الزمان فما يكفي فيه الدققة و الدقيقتان لا داعي إلى الزيادة أو النقصان فأوقات الناس محترمة و على الداعية أن يعرف قيمة وقته و وقت غيره و ما لم يمكن إنجازه في وقت ينظر له وقت آخر مناسب فمن رام نجاح دعوته فليأت الناس بدعوته في الزمان المناسب لهم إلا إذا كان هناك أمر

بمعروف أو نهى عن منكر فلا بد من تغيير في حينه فإنه يؤخذ بقدر إذ لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة و ختاماً لأبد من مراعاة المكان و ملابساته فإن الدعوة في المسجد تلقى من القبول ما لم تلقه في السوق و الدعوة في المدرسة تلقى من القبول ما لم تلقه في البيت و هكذا ، و ما يقال في مكان لا يصلح أن يقال في مكان آخر ، و ما يقال لشخص لا يصلح أن يقال لكل شخص ، و ما يقال في زمان لا يصلح أن يقال في كل زمان ، و ما يصلح أن يقال على انفراد لا يصلح أن يقال في جمع ، و هكذا و هذه الأمور الأربعة هي الموعظة الحسنة و البصيرة في الدعوة إلى الله كما قال الله تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ) (يونس / ١٠٨) . و كما قال تعالى : (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) (النحل / ١٢) .

و من أجمل الصور في الوسطية في التغيير :
تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع خوات بن جبير - رضي الله عنه- قال :
نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

إلى رسول صلى الله عليه وسلم ولأبرئ
صدره فلما قال : (السلام عليك أبا عبد الله
ما فعل شرادُ ذلك الجمل ؟) فقلت : و الذي
بعثك بالحق ما شرد ذلك الجمل منذ أسلم
فقال : « رحمك الله » ثلاثاً ، ثم لم يعد لشيء
مما كان (٨٢) .

الفصل الثالث : في ثمرات الوسطية

أ- الثمرات الدنيوية :

١- أن الوسطية بعامة دليل على كمال
الإيمان وصحة الإسلام والتأسي بالرسول
صلى الله عليه وسلم وأصحابه - رضي
الله عنهم - .

٢- أنها دليل على كمال العقل و تمام الرشد

٣- ضمان النجاة حتى الممات .

٤- ضمان الاستمرار في الخير . و أمان من
الملال .

٥- أنها عامل أساس في استقرار المجتمعات
و شيوع المحبة بين الناس .

٦- فيها دليل على التجرد من الأنانية .
والإحسان إلى الآخرين .

٧- فيها الأمن من الفقر و الحاجة بإذن الله
تعالى .

٨- بها تعود الحقوق إلى أصحابها ، و تعم
روح العدالة ، و يشعر الإنسان بأنه آمن في
يومه و غده .

٩- أنها تقضي على الشعوبية و الفتن

مرَّ الظهران قال : فخرجت من خبائي فإذا
أنا بنسوة يتحدثن فأعجبني ، فرجعت
فاستخرجت عييتي فاستخرجت منها حلة
فلبستها و جئت فجلست معهن ، وخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبته
فقال : (يا أبا عبد الله ما يجلسك معهن)

فلما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
هبت و اختلطت قلت : يا رسول الله جمل
لي شرد ، فأنا أبتغي له قيداً فمضى و اتبعته
، فألقى إلي رداءه و دخل الأراك كأني أنظر
إلى بياض متنه في خضرة الأراك ، فقضى
حاجته و توضأ ، فأقبل و الماء تسيل من
لحيته على صدره أو قال : يقطر من لحيته
على صدره ، فقال : (أبا عبد الله ما فعل
شراد جملك ؟) ثم ارتحلنا فجعل لا يلحقني
في المسير إلا قال : (السلام عليك أبا عبد
الله ما فعل شراد ذلك الجمل ؟) فلما رأيت
ذلك تعجلت إلى المدينة ، و اجتنب المسجد
و المجالسة إلى النبي صلى الله عليه وسلم
فلما طال ذلك تحينت ساعة خلوة المسجد ،
فأتيت المسجد فقممت أصلي ، و خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم من بعض حجره
فجاء فصلى ركعتين خفيفتين و طولت رجاء
أن يذهب و يدعني ، فقال : (طول أبا عبد
الله ما شئت أن تطول فلست قائماً حتى
تنصرف) فقلت في نفسي ، والله لأعذرَن

- الطائفية .
١٠- أنها تسد مداخل الشيطان على النفوس البشرية .
ب- الثمرات الأخروية :
١- أن أصحاب الوسطية في الدنيا هم الشهداء على الناس يوم القيامة .
٢- الأمن من الخوف و الفرع .
٣- النجاة من العذاب .
٤- الفوز بالرضا الرباني .
٥- الفوز بالسعادة الأبدية في جنات النعيم الخاتمة : وفيها أهم النتائج ، والتوصيات :
قد خلص البحث إلى نتائج وتوصيات عسى أن تكون مكان اهتمام القارئ الكريم لما تحمله من مفردات تذكر بالبحث ، وبما يمكن أعماله في واقع الحياة العملية .
أولاً : أهم النتائج وتتمثل في الآتي :
١. إن الوسطية : هي الحالة الدائرة بين العدل و ما في معناه و الأحسن والإحسان وما في معناهما على مقتضى الدليل الشرعي الصحيح الصريح ، سواء في حقوق الله تعالى ، أم حقوق النفس أم حقوق الخلق جميعاً ، من إنسان و غيره ، فالعدل وسط و الترقى بالزيادة إحسان .
٢. شدة رعاية القرآن الكريم بالوسطية حيث جاء الحديث عنها على ضربين : ماجاء باللفظ في خمسة مواضع ، بمعنى الوسط بين طرفين ، وبمعنى القرب إلى الاعتدال ، وبمعنى أعدلهم . وبمعنى معتدلة فاضلة ، وبمعنى الفاضلة والمتوسطة . والثاني : ماجاء بالمعنى : وهذا الضرب غالب أي القرآن .
٣. إن البحث يؤكد وبقوة على إمكانية التوسط لكل مكلف .
٤. إن أحكام الوسطية تنقسم إلى قسمين : الأول : باعتبار الواجب والمستحب ، وهو نوعان :
الوسطية الواجبة :
أ. الوسطية الواجبة في حقوق الله تعالى : بالاعتصار على الفرائض دون النوافل .
ب. الوسطية في حقوق العباد . وهي أن يأخذ العبد الذي له ويعطي الذي عليه .
ثانياً : الوسطية المستحبة :
أ. الوسطية المستحبة في حقوق الله تعالى . وهي الزيادة فوق الواجب بمقتضى الدليل الشرعي .
القسم الثاني : باعتبار الرخصة والعزيمة : وهو نوعان :
أ. باعتبار الرخصة : وهي حظ العباد من لطف الله .
ب. باعتبار العزيمة : وهي عبارة عما لزم العباد بإيجاب الله تعالى .

٥. إن أسبابها . وهي العلم ، والإتباع ، والاعتصام ، والعدل ، والإحسان .
٦. إن ميادينها . وهي واسعة اتساع الشريعة الإسلامية وقد أجملتها في : الوسطية في العقائد ، والوسطية في العبادات ، والوسطية في المعاملات بعمومها مع النفس والغير للمسلم والكافر ، والوسطية في التغيير .
٧. إن للوسطية ثمرات حسنة في الدنيا والآخرة .
- ثانياً : أهم التوصيات :
إن هذا البحث ، وهو يعالج حقيقة شرعية يوصي بالآتي :
١. أن يأخذ موضوع الوسطية حيزاً واسعاً في دراسات وبحوث المتخصصين ، بما يقطع الطريق أمام الكتابات غير المتخصصة ، والتي خلطت الحابل بالنابل .
٢. أن لا يتوارى أصحاب التخصصات الشرعية الدقيقة في الكتابة في مواضيع المسلمون الآن بحاجة ماسة إلى غيرها .
٣. أن لا تصبح أعمالنا العلمية هي عبارة عن ردود أفعال غير متأنية ينقصها الرؤية العلمية العميقة .
٤. أن تكون هذا البحث وأمثاله مادة علمية للمربين ، لصياغتها في مفردات تعليمية مناسبة .
٥. أن تعزز المفاهيم الوسطية من خلال وسائل التوجيه الإعلامي والدعوي .
٦. أن يسعى العلماء والمربون لإخراج المجتمعات الإسلامية من الإفراط والتفريط إلى العد والإحسان ، الذي هو الوسط الحق .
٧. أن يسعى العلماء والمربون إلى إخراج المجتمعات الإسلامية ، من الحالة النفسية التي لحقت ببعضهم جراء العنف الغربي ، والذي جعل ثلة منهم تتراجع عن الوسط ، أو الخجل من إظهاره .
- وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على الهادي الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
- فهرس المراجع**
١. أحكام القرآن ، لابن العربي ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، القاهرة ، ١٩٥٧م
٢. الأدب المفرد ، للبخاري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار البشائر الإسلامية ، ط ٣ ، ١٤٠٩هـ
٣. الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي ، د . عبد الله بن إبراهيم الطريقي ، ط ، الأولى : ١٤٠٩هـ
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، محمد الأمين الشنقيطي ، ط الثانية ، القاهرة ، ١٤٠٨هـ مكتبة ابن تيمية .

١٥. الرياض الناضرة ، والحدائق النيرة الزاهرة .. ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، منشورات المؤسسة السعودية ، الرياض ، د.ت.
١٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة ، محمد ناصر الدين الألباني ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ط ٥ ، ١٤٠٥ هـ .
١٧. سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، دار إحياء التراث ، ١٣٩٥ هـ
١٨. سنن أبي داود ، أبو سليمان بن الأشعث ، تحقيق : ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، دار إحياء التراث ، ط : دار الفكر .
١٩. سنن الترمذي (الجامع الصحيح) ، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة ، تحقيق : أحمد محمد شاكر ، بيروت ، دار إحياء التراث ، ط : دار الفكر
٢٠. سنن النسائي (المجتبى من السنن) ، أحمد بن شعيب النسائي ، مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب - ط ٢ ، ١٤٠٦ هـ ، تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة .
٢١. شخصية المسلم : د/ محمد علي الهاشمي ، بيروت ، دار البشائر الإسلامية ، ط ٤ ، ١٤١٠ هـ
٢٢. شرح الطحاوية - لابن أبي العزا ، لحنفي ، حققه جماعة من العلماء ، وخرج أحاديثه الألباني ، المكتب الإسلامي ، ط : ٧ ، ١٤٠٣ هـ
٢٣. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) لإسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد
٥. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ابن القيم الجوزية ، بيروت دار المعرفة .
٦. إيثار الحق على الخلق بيروت ، المكتبة العلمية
٧. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، - للفيروزآبادي ، بيروت ، المكتبة العلمية ، د.ت . مصورة من طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة إحياء التراث الإسلامي ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ
٨. التعريفات - للجرجاني ط : دار الكتب العلمية. ١٤٠٣ هـ
٩. تفسير التحرير و التنوير : الطاهر بن عاشور ، تونس ، الدار التونسية للنشر والتوزيع ، ١٩٨٤ م
١٠. تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء إسماعيل بن كثير ط : دار القلم .
١١. التوقيف على مهمات التعاريف - محمد عبد الرؤف المناوي .تحقيق : عبد الحميد صالح حمدان ، القاهرة ، ١٤١٠ هـ
١٢. جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي ، عمان ، مكتبة الرسالة الحديثة ، د.ت . القاهرة مؤسسة الكتب الثقافية .
١٣. و الذريعة إلى مكارم الشريعة ، الراغب الأصفهاني ، ط ١ ، بيروت دار الكتب العلمية ، ١٩٨٠ م .
١٤. رفع الحرج في الشريعة الإسلامية - للدكتور: يعقوب عبد الوهاب الباحسين ط : دار النشر الدولي ١٤١٦ هـ

- عبد الغفور عطار ، القاهرة، ١٩٨٢م
٢٤. صحيح ابن خزيمة ، تحقيق : محمد الأعظمي ، ط ١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٠هـ
٢٥. صحيح البخاري ، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ، تحقيق : مصطفى البغا ، دمشق ، دار ابن كثير ، ١٤٠٧هـ
٢٦. صحيح سنن ابن ماجه وزياداته ، محمد ناصر الدين الألباني ، دمشق ، المكتب الإسلامي، ١٤٠٢هـ
٢٧. صحيح سنن أبي داود ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ١٤٠٩هـ
٢٨. صحيح سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني ، بيروت ، ١٩٨٨م
٢٩. صحيح سنن النسائي ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتب التربية العربي لدول الخليج ،
٣٠. صحيح مسلم ، مسلم بن الحجاج ، محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت ، دار إحياء التراث ، ط : دار الفكر
٣١. فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، اب حجر العسقلاني ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، ترقيم عبد الباقي ، القاهرة ، دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ .
٣٢. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمد بن علي الشوكاني ، القاهرة ، مطبعة الحلبي : ١٩٦٤م ،
- بيروت ، دار الفكر ، ١٩٨٣م .
٣٣. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد الرحمن آل الشيخ ، تحقيق الفقهي ، مكة المكرمة ، ١٤١٢هـ .
٣٤. فلسفة التربية الإسلامية - للدكتور ماجد عرسان الكيلاني ،
٣٥. الفوائد ، لأبن القيم الجوزية ، القاهرة ، دار الريان للتراث ، ١٤٠٧هـ .
٣٦. في ظلال القرآن : لسيد قطب ط . دار الشروق .
٣٧. الكشف عن حقائق التنزيل وعيون التأويل - جار الله الزمخشري ط : دار الكتب العلمية ، بيروت
٣٨. الكفاية في علم الرواية - للخطيب البغدادي : ط : دار الكتاب العربي .
٣٩. لسان العرب - لابن منظور ، بيروت دار صادر .
٤٠. مجموع فتاوى ابن تيمية ، جمعها بن قاسم ، ط : دار الكتب العلمية ، بيروت
٤١. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية ، تحقيق المجلس العلمي ، المغرب ، فاس .
٤٢. المستصفى في علم الأصول ، محمد بن محمد الغزالي ، تحقيق : محمد عبد السلام عبد الشافي ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ
٤٣. مدارج السالكين - لابن قيم الجوزية ، بيروت دار الكتب العلمية ، ١٤٠٨هـ

٤٤. مداواة النفوس ، ابن حزم ، تحقيق :
أبو حذيفة بن محمد ، مصر طنطا ، مكتبة
الصحابة ، ط ١ ، ١٤٠٧هـ
٤٥. مسند الإمام أحمد ، بيروت ، المكتب
الإسلامي ، ط ٢ . ١٣٩٨هـ
٤٦. مشكاة المصابيح ، التبريزي ، تحقيق
الألباني ، ط ٢ ، بيروت ، دمشق ، المكتب
الإسلامي .
٤٧. معجم ألفاظ القرآن الكريم - مجمع اللغة
العربية ، مصر .
٤٨. معجم مفردات غريب القرآن الكريم
لرأغب الأصبهاني ، تحقيق : محمد سيد
كيلان
٤٩. مقاييس اللغة - أحمد بن فارس ، تحقيق :
عبد السلام هارون ، القاهرة ، ١٩٦٩م
٥٠. الموافقات - للشاطبي ، ط : المطبعة
السلفية مصر ١٣٤١ هـ .
٥١. النهاية في غريب الحديث والأثر - لابن
الأثير ، تحقيق : طاهر الزاوي ، ومحمود
الصناجي ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية
، ١٣٦٣هـ
٥٢. ٢٤ الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله
العزیز - عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني
، تحقيق : محمد حسن أبو العزم ، مصر ،
القاهرة ، وزارة الأوقاف ، لجنة إحياء التراث .
٥٣. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول
الكريم لصالح بن حميد و زملائه ، دار
الوسيلة ، السعودية ، ط ١ .
- (هوامش)
- (١) المقاييس : ١٠٩١ ط . دار الفكر .
- (٢) الوجوه والنظائر في القرآن الكريم : ٤٨٨
ط . دار المعرفة .
- (٣) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب
العزیز : ٥ / ٢٠٩ ط .
- (٤) معجم مفردات ألفاظ القرآن : (٥٥٩ - ٥٦٠
(ط . دار الفكر .
- (٥) الكليات : (٩٣٩) ط : مؤسسة الرسالة
الثانية ١٤١٣ هـ .
- (٦) الفوائد : ١٣٩ .
- (٧) تفسير القرآن العظيم : ١ / ١٦٧ ط : دار
القلم .
- (٨) في ظلال القرآن : لسيد قطب : ١ / ١٣١ ط .
دار الشروق .
- (٩) المفردات - للرأغب : ١١٧ .
- (١٠) المفردات : ٣٩٥ .
- (١١) انظر المفردات : ١٦٣ .
- (١٢) الظلال : ١ / ١٦٧ .
- (١٣) لسان العرب : ١١ / ٤٣٣ ط : دار صادر .
- (١٤) التعريفات - للجرجاني (١٥٣) ط : دار
الكتب العلمية .
- (١٥) الكفاية في علم الرواية - للخطيب البغدادي
١٠٣ ط : دار الكتاب العربي .
- (١٦) المفردات : ٤٩١ .
- (١٧) الظلال : ١ / ١٣١ .
- (١٨) الكليات : للكفوي : ٩٣٨ .
- (١٩) انظر : معجم ألفاظ القرآن الكريم - تأليف
مجمع اللغة العربية في مصر : (٢ / ١١٧٧ -
١١٧٨) .
- (٢٠) انظر : الموافقات - للشاطبي : (٢ / ٦٣ -
١٦٨) .
- (٢١) شرح الطحاوية لأبن أبي العز ، بتحقيق
الألباني : (٥٨٥) .
- (٢٢) انظر : التوقيف على مهمات التعاريف -

- للمناوي : (٢٥٣) .
- (٢٣) صحيح مسلم : ٤ / ٢٠٥٥ (٢٦٧٠) .
- (٢٤) انظر : النهاية في غريب الحديث - لأبن الأثير : ٥ / ٧٤ ط : دار الباز .
- (٢٥) الفوائد : (٧٤) .
- (٢٦) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان : ١ / ١٣٦ .
- (٢٧) صحيح البخاري : ٢ / ٥٠٦ (١٣٣٣) ط : دار ابن كثير الرابعة .
- (٢٨) انظر : بصائر ذوي التمييز - للفيروزآبادي : (٣٠ / ٤) .
- (٢٩) صحيح : البخاري ١ / ٢٧ (٥٠) .
- (٣٠) انظر : رفع الحرج في الشريعة الإسلامية - للدكتور : يعقوب عبد الوهاب الباحسين : (٤١١ - ٤٢٢) ط : دار النشر الدولي ١٤١٦ هـ .
- (٣١) انظر : المرجع نفسه .
- (٣٢) أنظر : المرجع نفسه .
- (٣٣) انظر : المرجع نفسه .
- (٣٤) المستصفى للغزالي : ١ / ٩٨ .
- (٣٥) الموافقات - للشاطبي : ١ / ٢٠٩ ط : المطبعة السلفية مصر ١٣٤١ هـ .
- (٣٦) صحيح البخاري : ٢ / ٦٨٧ (١٨٤٥) .
- (٣٧) سنن ابن ماجة : (١ / ٨١) (٢٢٤) و صحه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة : (١ / ٤٤) (١٨٣) .
- (٣٨) سنن النسائي : (٨ / ٢٨٤) (٥٥٣٧) و صحه الألباني في سلسلة الصحة : (٣ / ١١١٣) (٥٠٥٣) .
- (٣٩) نقلاً عن أضواء البيان للشنقطي : (٧ / ٥٤٨) .
- (٤٠) نقلاً عن أضواء البيان للشنقطي : (٧ / ٥٤٨) .
- (٤١) سنن الترمذي : (٥ / ٦٠٩) (٣٦٦٢) و صحه الألباني في السلسلة المصححة : ٢ / ٢٣٣ (١٢٣٣) .
- (٤٢) مسند أحمد : (٣ / ٣٨٧) و حسنه الألباني في المشكاة : (١ / ٦٣) .
- (٤٣) انظر : تفسير الكشاف - للزمخشري : (١ / ٢٠٦) .
- (٤٤) انظر : مدارج السالكين : (١ / ٤٩٥ ، ٤٩٧) .
- (٤٥) صحيح مسلم : (٢ / ٨٨٦) (٨٩٠) .
- (٤٦) انظر : مدارك السالكين : (١ / ٤٩٥ ، ٤٩٧) .
- (٤٧) فتح الباري : (١٣ / ٢٤٦) .
- (٤٨) فتح القدير : (١ / ٤٨٠) .
- (٤٩) الرياض الناضرة للسعدي : (٢٥٣) .
- (٥٠) مداواة النفوس : (٨١) .
- (٥١) التعريفات : (١٥٣) .
- (٥٢) انظر : بصائر ذوي التمييز (٤ / ٢٨ - ٣٠) .
- (٥٣) انظر : المحرر الوجيز (٥ / ٤٩٤) .
- (٥٤) انظر : أضواء البيان (٣ / ٣١٦) .
- (٥٥) انظر : أحكام القرآن « لابن العربي » (٣ / ١١٧٢) .
- (٥٦) صحيح مسلم ١ / ٣٨ (١) كتاب الإيمان باب بيان الإسلام و الإيمان و الإحسان .
- (٥٧) انظر : فتح الباري (١ / ١٢١) ، و جامع العلوم و الحكم لابن رجب (١ / ١٢٥ - ١٢٦) ، و نضرة النعيم لصالح بن حميد و زملائه (٢ / ٦٧) (بتصرف) .
- (٥٨) انظر : المفردات : (١١٨) ، و الكليات : (٥٣) و التعريفات : (٨٧) بتصرف .
- (٥٩) انظر : المفردات ، للراغب (١١٩) ، و الذريعة إلى مكارم الشريعة (٣٥) .
- (٦٠) انظر فلسفة التربية الإسلامية - للدكتور ماجد عرسان الكيلاني : (١٤١) .
- (٦١) انظر : نحو ثقافة إسلامية - للدكتور عمر سليمان الأشقر : (٨٢) .
- (٦٢) صحيح مسلم : (٣ / ٢٢٠٥) ، (٢٨٧٧) .
- (٦٣) انتهى بتصرف من مجموع الفتاوى (٣ / ٣٧٠ - ٣٧٥) .
- (٦٤) الفتاوى - لابن تيمية (١٠ / ١٤٩) .

(الوسطية في ضوء القرآن الكريم ، دراسة موضوعية) .

(٦٥) نقلاً عن فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لعبد

الرحمن آل الشيخ (١٨) .

(٦٦) الفوائد : لابن القيم : (٣٥ ، ٣٤) .

(٦٧) انظر : مدخل لدراسة العقيدة - لضميرية

(٢٩٢ - ٢٩٦) .

(٦٨) صحيح البخاري : (٥ / ١٩٤٩) (٤٧٧٦)

(٦٩) صحيح ابن خزيمة : (٤ / ٢٧٤) (٢٨٦٧)

(٧٠) صحيح البخاري - الفتح - : (١ / ٣٨٧)

(١١٠٢) .

(٧١) النهاية (٥ / ٢٤٧) .

(٧٢) سنن النسائي (٥ / ٧٩) (٢٥٥٩) وحسنه

الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٣٩٩) .

(٧٣) انظر : شخصية المسلم : د/ محمد علي

الهاشمي (١٦٢ ، ١٧٦) .

(٧٤) صحيح البخاري : (١ / ١٤) ، (١٣) .

(٧٥) انظر : الاستعانة بغير المسلمين (٦ ، ٧)

(٧٦) انظر : الاستعانة بغير المسلمين (٢١ ، ٢٢)

(٧٧) تفسير الطبري (٢٨ / ٤٣) .

(٧٨) فتح القدير (٥ / ٢١٣) .

(٧٩) إثبات الحق على الخلق (٤٠٨) .

(٨٠) صحيح البخاري : (٥ / ٢٢٣٣) ، (٥٦٤٤) .

(٨١) الأدب المفرد للبخاري (٤٤) (١٠٥) ، و

أصل الحديث في صحيح مسلم (٣ / ٢٠٢٥)

(٢٦٢٤) ، عن ابن عمر و عائشة و غيرهما - رضي

الله عنهم - .

(٨٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٤ / ٢٠٣)

(٤١٤٦) و قال الهيثمي في المجمع (٩ / ٤٠١)

رواه الطبراني من طريقين و رجال أحدهما رجال

الصحيح غير الجراح بن مخلد و هو ثقة .